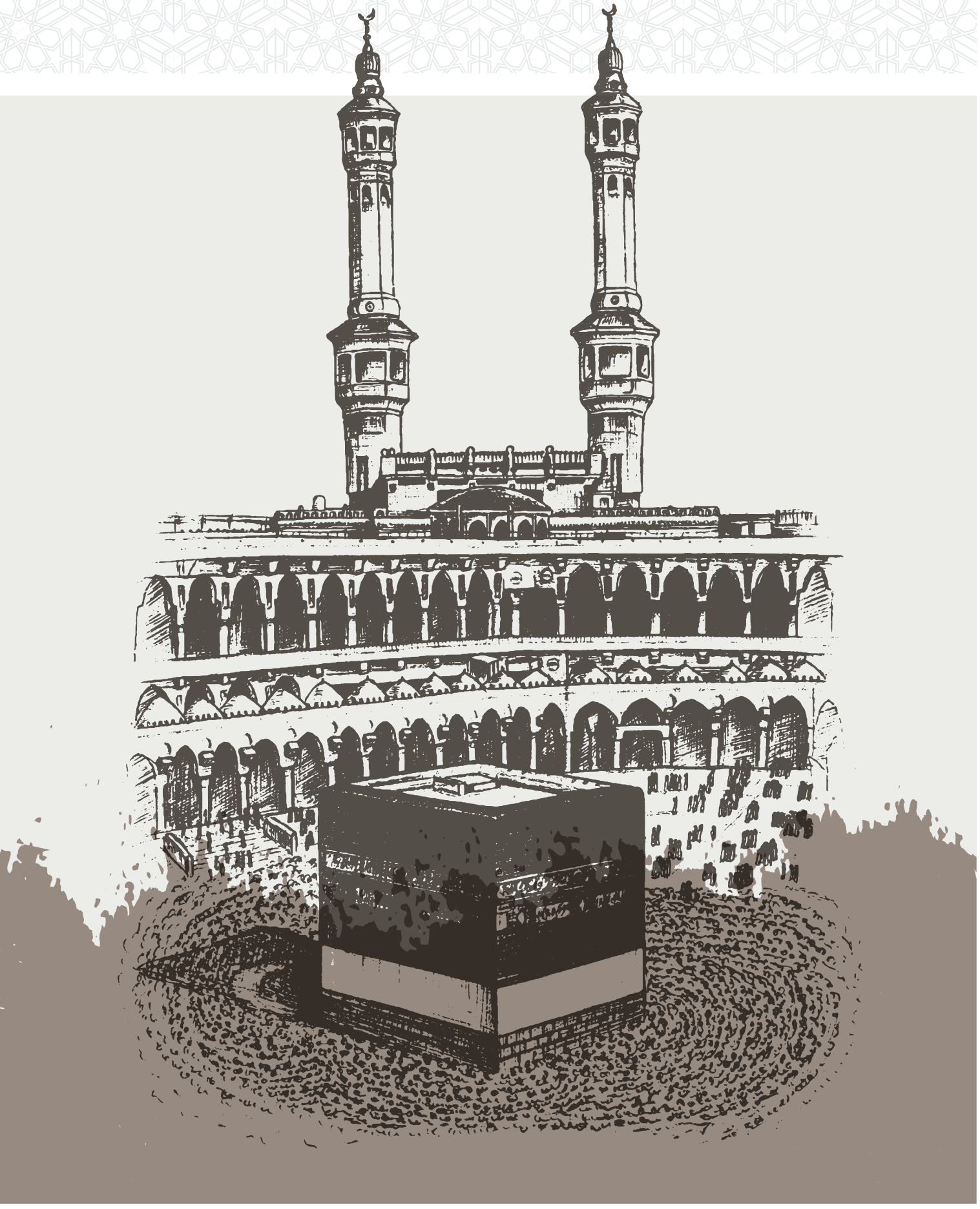

عن جَابِر بن عبد الله ﷺ قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:

١ «بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ»[1].

(١) رواه مسلم (٨٢).

آيات

- ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].
- ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ٣٨ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ٣٩ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ٤٠ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤١ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ﴾ [المدثر: ٣٨ - ٤٣].

الراوي

هو: أبو عبد الله جابرُ بنُ عبدِ الله بنِ عمرِو بنِ حرام الأنصاريُّ، ثم السَّلِميُّ، شَهِدَ بيعة العقبة الثانية وهو صبيٌّ مع أبيه، وكان والده من النُّقباء البدريِّين، وكان آخِرَ مَن مات ممن شَهِد ليلة العقبة الثانية، وقيل: شَهِد بَدرًا وأُحدًا، وشهد صِفِّين مع عليِّ بنِ أبي طالب ﷺ، وهو مُفتي المدينة في زمانه، تُوفِّي سنةَ (٧٨هـ)[1].

خلاصة

يخبِر النبي ﷺ أنَّ الصلاة هي الفَيصل بين الإسلام والكفر، فمَن ترك الصلاة فقد كفَر.

(١) تُراجع ترجمته في: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (١/ ٢١٩)، «أسد الغابة» لابن الأثير (١/ ٣٠٧)، سير أعلام النبلاء» للذهبيِّ (٣/ ١٩٠).

١ الصلاة هي الرُّكن الثاني من أركان الإسلام بعد الشَّهادتينِ، وهي عمودُ الإسلام الذي يُبنى عليها؛ قال ﷺ: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ»(٢)، وهي أحبُّ الأعمالِ إلى الله تعالى؛ فعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «الصَّلاةُ عَلى وقْتِهَا»(٣).

٢ ولهذا كانت الصلاةُ علامةً تميِّز المسلمين؛ فالمنافق يتثاقل عنها، ولا يؤدِّيها إلا كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ [النساء: ١٤٢].

٣ والكافرُ يجحَدُ وجوبَها ويتركها بالكُلِّيَّة، ولهذا توعَّد الله عزَّ وجلَّ تاركها بقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ۝٣٩ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝٤٠ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٤١ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۝٤٢ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر: ٣٨ - ٤٣]، وقد قال سبحانه عن سَقَر: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ۝٢٨ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ۝٢٩ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٢٦ - ٣٠].

٤ وفي هذا الحديث يخبِر النبيُّ ﷺ عن حُكم تارك الصلاة، فيذكر أنَّها الفاصلة بين المسلم والكافر؛ فبيْن الرجلِ وبين الشِّرْك أو الكفر تركُ الصلاة، وهي كقوله ﷺ: «الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»(٤)، وقال عمر ﷺ: «لَا حَظَّ فِي الْإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ»(٥)، وكان عبد الله بن شَقيقٍ رحمه الله يقول: «كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ لَا يَرَوْنَ شَيْئًا مِنَ الأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلَاةِ»(٦).

---

(٢) رواه الترمذيُّ (٢٦١٦)، والنسائيُّ (١١٣٣٠).

(٣) رواه البخاريُّ (٥٢٧)، ومسلم (٨٥).

(٤) رواه الترمذيُّ (٢٦٢١)، والنسائيُّ (٤٦٣)، وابن ماجه (١٠٧٩).

(٥) رواه مالك في الموطأ (١/ ٣٩)، والدارقطني (١٧٥٠).

(٦) رواه الترمذي (٢٦٢٢).

١ أجمع الفقهاءُ على أنَّ تارك الصلاةِ جحودًا كافرٌ مرتدٌّ عن الدين، واختلفوا في تاركها تكاسلًا وتهاونًا؛ فقيل: كافرٌ، وقيل: فاسقٌ يُستتاب وإلا قُتل، وقيل: فاسقٌ ولا يُقتل. والمسلمُ الحقُّ الذي عرَف ربَّه تعالى وآمن بنبيِّه ﷺ لا يَنزِل تلك المنزلة التي اختلف فيها الفقهاء بين التكفير والتفسيق، وإنما يسارِع إلى مرضات الله تعالى ويتقربُ إليه بالنوافل بعد أداء الفرائض.

٢ لمَّا طُعن عمر بن الخطاب ﷺ وأدخلوه بيته، حاولوا أن يوقِظوه من إغمائه، فقالوا: لن يوقِظَه إلا الصَّلاة، فنادوا: الصلاةَ يا أمير المؤمنين! فقال: «نعم، ولا حظَّ في الإسلام لمن ترَك الصلاة»، وصلَّى ودَمُه يسيل من جُرحه. فإلى أيِّ مدى كان اهتمام الصحابة رضوان الله عليهم بالصلاة؟![٧]

٣ عن عبد الله بن عمرِو بنِ العاص ﷺ، عن النبيِّ ﷺ: أنه ذَكَرَ الصَّلاةَ يَوْمًا فَقَالَ: «مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ وَلَا بُرْهَانٌ وَلَا نَجَاةٌ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ»[٨].

قال ابن القيِّم رحمه الله: «وإنما خصَّ هؤلاء الأربعة بالذِّكر؛ لأنهم من رؤوس الكَفَرة. وفيه نُكتةٌ بديعة؛ وهو أن تارك المحافظة على الصلاة، إمَّا أن يَشغَله مالُه أو مُلكُه أو رياسته أو تجارته، فمَن شَغَله عنها مالُه فهو مع قارون، ومن شَغَله عنها ملكه فهو مع فِرعونَ، ومن شَغله عنها رياسةٌ ووزارة فهو مع هامانَ، ومَن شَغَله عنها تجارته فهو مع أبيِّ بنِ خَلَفٍ»[٩].

٤ كيف يتخلَّف أحدٌ عن الصلاة وهي التي جعلها اللهُ سبحانه مكفِّرةً لسيئات العبد وخطاياه؟! قال رسولُ اللهِ ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟» قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: «فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا»[١٠].

٥ قال ابن مسعود ﷺ في شأن صلاة الجماعة: «وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ»[١١]. فكيف يَترك الصلاةَ مسلمٌ بإرادته واختياره؟!

---

(٧) رواه مالك في الموطأ (١/ ٣٩)، والدارقطني (١٧٥٠).

(٨) رواه أحمد (٦٥٧٦)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٩) «الصلاة وأحكام تاركها» لابن القيم (ص: ٥١).

(١٠) رواه البخاريُّ (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧).

(١١) رواه مسلم (٦٥٤).

قال غيره:

قال الشاعر:

ارْتِفَاعُ الأَذَان فَــوْقَ الْمَآذِنْ ... فِي انْبِلَاجِ الصَّبَاحِ وَاللَّيْلُ سَاكِنْ

دَعْوَةٌ تَحْمِلُ الْحَيَاةَ إِلَى الْكَوْ ... نِ وَســكَّانِهِ قُـرًى وَمــدَائِنْ

وَنِدَاءٌ مِنَ السَّـمَاءِ إِلَى الأَرْ ... ضِ إِلَى ظَــاهِرٍ عَلَيْهَا وَبَاطِـنْ

وَلِقَاءٌ بَيْنَ الْمَـلائِكِ وَالإِيـ ... ـمَانِ وَالْمُؤْمِنِينَ مِـنْ غَيْــرِ آذِنْ

وَانْطِلاقٌ إِلَى الْفَلاحِ إِلَى الْخَيْـ ... ـرِ إِلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى وَالْمَحَاسِنْ

قال غيره:

يَنْســى بِهَا دُنْيَـاهُ وَهْــوَ مُكَبِّرٌ ... وَيَرَى حَقِيقَــةَ نَفْسِهِ مُتَجَرِّدَا

جَافَتْ جُنُوبُ الصَّالِحِينَ مَضَاجِعًا ... وَقَضَوْا لَيَالِيَهُمْ قِيَامًا سُــجَّدَا

وَسَــعَوْا إِلَيْهَا فِي الظَّلامِ يَحُثُّهُمْ ... شَــوْقٌ يَهُزُّ قَوِيَّهُمْ وَالْمُقْعَـدَا

يَتْلُــونَ آيَ اللهِ فِي مِحْــرَابِهَا ... وَالْفَجْرُ يُوشِكُ نُــورُهُ أَنْ يُولَدَا

حَتَّى إِذَا ارْتَفَــعَ النِّــدَاءُ وَكَبَّرُوا ... وَتَوَجَّهُــوا للهِ رَبّــًا مُفْـرَدَا

أَبْصَــرْتَ أَرْوَعَ مَا يُرَى فِي لحظةٍ ... وَوَقَفْتَ إجلالاً تُحَيِّي الْمَشْـهَدَا

وَرَأَيْتَهُمْ صَـفًّا وَقَلْبًا واحــدًا ... وَلِسَانُ حُبٍّ للسَّــلَامِ مُرَدِّدَا